كيف تَعامَلَ النبيُّ ﷺ، وصَحبُه الكرام مع كورونا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

عن أبي هريرة ﷺ، قال:" جاءت الحُمَّى إلى النبيِّ ﷺ .."؛ الحمى التي تسبب ارتفاعاً شديداً في درجة حرارة الجسم، وآلاماً وصداعاً في الرأس، وتؤدي إلى تعرّق، وارتعاد، وأحياناً شعوراً بالرعشة والبرد، تُوهن قوة صاحبها، وتقعده في فراشه .. وكل ما يمكن أن يوصف به " كورونا " من آثار ومضاعفات، وعوارض، يدخل في معنى الحمى المشار إليها في الأحاديث النبوية .. كما يدخل في معناها جميع فيروسات الفلوزة، وعوارضها .. بل إن الحمّى التي تتكلم عنها الأحاديث النبوية ـ كما سيظهر للقارئ ـ لهي أشد وطأ وأثراً، وفتكاً من " كورونا " المثار حوله الجدل، أضعاف مضاعفة، وفي الحديث، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" الحُمَّى مِن فَيْحِ جَهَنَّمَ فأبْرِدُوهَا بالمَاءِ " البخاري. أي حرها من حر نار جهنم .. وهذا توصيف مخيف مهما قيل في كورونا لا يبلغ درجته!

هذه الحمّى بهذه المواصفات جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت:" ابْعَثْنِي إلى آثَرِ أهلِكَ عندَكَ .."؛ أي إلى خُلَّص وخاصّة وأحب أهلك عندك .. لماذا ..؟! لكي تطهرهم من الخطايا والذنوب، وترفع من درجاتهم ومقاماتهم عند الله تعالى، كما في الحديث:" الحُمَّى تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كما يُذْهِبُ الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ "مسلم. فالحمى طهور للمؤمن، عقاب للكافر الجاحِد.

" فبَعثَها إلى الأنصار "؛ أحب الناس إليه .. الأنصار الذين يقول النبي ﷺ فيهم:" الأنْصَارُ لا يُحِبُّهُم إلا مُؤمنٌ، ولا يُبْغِضُهُم إلا مُنَافِقٌ، فمَن أحبَّهُم أحبَّهُ اللهُ، ومَن أبغَضَهُم أبغَضَهُ اللهُ " متفق عليه. " آيَةُ الإيمانِ حُبُّ الأنصارِ، وآيةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأنصَارِ "متفق عليه. " لا يُبْغِضُ الأنصَارَ رجلٌ يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ "مسلم. " والذي نفسُ محمدٍ بيدِه لا يُحِبُّ رجلٌ الأنصارَ حتى يَلْقَى اللهَ تبارَكَ وتعالى، إلا لَقِيَ اللهَ تبارَكَ وتعالى وهو يُحِبُّه، ولا يَبْغُضُ رجلٌ الأنصارَ حتى يَلقَى اللهَ تبارَكَ وتعالى، إلا لَقِيَ اللهَ تبارَكَ وتعالى وهو يَبغُضُه "[1]. " الأنصار كَرِشِي وعَيْبَتِي "البخاري. أي هم بطانتي، وخاصّتي. " ألا إنَّ الناسَ دِثارِي، والأنصارَ شِعارِي "[2]. أي أن الناس هم العامّة، والأنصار هم الخاصة، وقيل: أن" الشِّعار "؛ ما ولي الجسد من الثياب. " والدثار " ما يُلبس من الثياب فوق الشعار؛ للتدليل على مدى التصاق وقرب الأنصار من النبي ﷺ.

---

[1] أخرجه أحمد، والطبراني، السلسلة الصحيحة: 1672.

[2] أخرجه الحاكم، وأحمد، السلسلة الصحيحة: 917. "

إلى هؤلاء الخواص والأحباب العظماء، أرسل النبي ﷺ الحُمَّى" فبَقيَت عليهم سِتَّةَ أيَّامٍ ولياليهِنَّ "؛ صابرين محتسبين من غير شكوى .. " فاشتَدَّ ذلك عليهم، فأتاهم في دِيارِهم، فشَكَوا ذلك إليه "؛ أي شكوا آثار الحمى عليهم، بعد مضي سِتَّةَ أيَّامٍ ولياليهِنَّ " فجعلَ النبيُّ ﷺ يَدخلُ داراً داراً، وبيتاً بيتاً؛ يدعو لهم بالعافِيَةِ. فلما رَجعَ "؛ ظاناً أنه قد دخل جميع بيوت الأنصار، ودعا لهم جميعاً، ولم يفته منهم أحداً " تَبِعَتْهُ امرأةٌ منهم ـ أي من الأنصار ـ فقالت: والذي بَعثَكَ بالحقِّ إنِّي لَمِنَ الأنصارِ "؛ لم تبتدئ بذكر حاجتها، وإنما ابتدأت بذكر اسم، تعلم مسبقاً أن النبي ﷺ يحبه، ويحب أهله حباً جمّاً، وأنه لشدة حبه لهم، لا يمكن أن يردَّ لهم طلباً، وأن النبي ﷺ ما إن يسمع كلمة الأنصار، إلا وسرعان ما يقف ويلتفت إليها، ويُلبي لها حاجتها .. فالمرأة تعلم ذلك، فقالت:" والذي بَعثَكَ بالحقِّ إنِّي لَمِنَ الأنصارِ "، لم تكتفي هذه المرأة الذكية بذلك، فقالت:" وإنَّ أبي لَمِنَ الأنصار "؛ فكرَّرت على مسامع النبي ﷺ كلمة الأنصار مرتين .. والمرأة لم تكتفي بذلك، فأضافت الثالة في قولها:" فادْعُ اللهَ لي كما دَعَوْتَ للأنصار! "؛ هذه المرأة المسكينة قد اجتمع عليها خوفان: خوف وذعر مرض الحمى، وبقائه، وذعر فوات الدواء الشافي، الكامن في دعاء النبي ﷺ لها .. فتوقف النبي ﷺ، وقال لها:" ما شِئتِ "؛ لا تخافي .. كما تشائين .. وكما تريدين .. ثم عرض عليها خيار تشرئبّ له أعناق كبار الصحابة:" إنْ شِئتِ دَعوتُ اللهَ أن يُعافِيَكِ، وإنْ شِئتِ صَبَرتِ ولكِ الجَنَّة ". قالت: بل أصْبِرُ، ولا أجعَلُ الجَنَّةَ خَطَراً "[3]. أي لا أخاطر فأراهن على الجنة، بل أصبر وأضمن الجنة .. فكانت امرأة من أهل الجنة تمشي على الأرض!

وعن عائشة ﵂ قالت:" لَمَّا قَدِمَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ المَدِينَةَ، وُعِكَ أبو بَكْرٍ، وبِلَالٌ، فَكانَ أبو بَكْرٍ إذَا أخَذَتْهُ الحُمَّى ـ لشدة حرها وألمها ـ يقولُ: كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ في أهْلِهِ، والمَوْتُ أدْنَى مِن شِرَاكِ نَعْلِهِ. وكانَ بلَالٌ إذَا أُقْلِعَ عنْه الحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ ـ أي صوته من شدة الألم ـ يقولُ: أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هلْ أبِيتَنَّ لَيْلَةً بوَادٍ وحَوْلِي إذْخِرٌ وجَلِيلُ ـ من نباتات مكة ـ وَهلْ أرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ، وهلْ يَبْدُوَنْ لي شَامَةٌ وطَفِيلُ ـ من جبال مكة ـ يتمنى العودة إلى مكة. قالَ النبي ﷺ:" اللَّهُمَّ العَنْ شيبَةَ بنَ رَبِيعَةَ، وعُتْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ، وأُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ كما أخْرَجُونَا مِن أرْضِنَا إلى أرْضِ الوَبَاءِ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أوْ أشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا في صَاعِنَا وفي مُدِّنَا، وصَحِّحْهَا لَنَا، وانْقُلْ حُمَّاهَا إلى الجُحْفَةِ "، وهي منطقة خارج المدينة. قالَتْ: وقَدِمْنَا المَدِينَةَ وهي أوْبَأُ أرْضِ اللَّهِ، كانَ بُطْحَانُ ـ وادي في جنوب المدينة ـ يَجْرِي نَجْلًا تَعْنِي مَاءً آجِنًا " البخاري. أي ماء وسخاً متعفناً، ينشر الأوبئة والأمراض.

وعن عبد الله بن عباس ﵄، قال:" قَدِمَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وَأَصْحَابُهُ مَكَّةَ ـ عام الأمان إثر صلح الحديبية ـ وَقَدْ وَهَنَتْهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ ـ أي أضعفتهم، وأنهكت قواهم ـ قالَ المُشْرِكُونَ: إنَّه يَقْدَمُ عليْكُم غَدًا قَوْمٌ قدْ وَهَنَتْهُمُ الحُمَّى، وَلَقُوا منها شِدَّةً .. فأمر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أصحابه أنْ

---

[3] صحيح الأدب المفرد: 387.

يَرْمُلُوا ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ، وَيَمْشُوا ما بيْنَ الرُّكْنَيْنِ، لِيَرَى الْمُشْرِكُونَ جَلَدَهُمْ، فَقالَ الْمُشْرِكُونَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أنَّ الحُمَّى قدْ وَهَنَتْهُمْ، هَؤُلَاءِ أَجْلَدُ مِن كَذَا وَكَذَا. قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الأشْوَاطَ كُلَّهَا، إلَّا الإبْقَاءُ عليهم " مسلم. أي الإبقاء على حياتهم، لشدة ما نالت من قواهم الحمى!

وعن أبي سعيد الخدري قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يُوعك فوضعت يدي عليه فوجدت حرَّهُ بين يدي فوق اللحاف. فقلت يا رسول الله ما أشدها عليك ـ أي الحمّى ـ! قال: إنَّا كذلك يُضَعَّفُ لنا البلاء ويُضعَّف لنا الأجر "[4].

وفي رواية: أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو موعوك عليه قطيفةٌ ـ ثوب ـ فوضع يده فوق القطيفة، فقال: ما أشدَّ حُمَّاك يا رسولَ الله!، قال ﷺ:" إنا كذلك يُشدّد علينا البلاء، ويُضاعف لنا الأجر "، ثم قال: يا رسول الله من أشد الناس بلاء؟ قال:" الأنبياء ". قال: ثم مَن؟ قال:" العلماء "، قال: ثم من؟ قال:" الصالحون "[5].

وقال ﷺ:" إن عِظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السَّخَطُ "[6]. " يبتلى الناس على قدر دينهم؛ فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه "[7].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء أعرابيٌّ، فقال النبيُّ ﷺ:" هل أخذتكَ أم مِلْدَم ـ يعني الحُمّى ـ؟" قال: وما أم مِلدم؟ قال:" حرٌّ بين الجلد واللحم "، قال: لا، قال:" فهل صُدِعت؟"، قال: وما الصّداع؟ قال:" ريح تعترض الرأس، تضربُ العروقَ "، قال: لا، قال: فلما قام، قال:" من سرَّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهلِ النار " أي فلينظره [8]. فهو من أهل النار؛ لأنه لا يعرف البلاء الذي يطهره من ذنوبه، وبخاصة من البلاء الحمى، وعوارضها.

وعن جابر بن عبد الله، أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، دَخَلَ علَى أُمِّ السَّائِبِ، فَقالَ: ما لَكِ يا أُمَّ السَّائِبِ تُزَفْزِفِينَ ـ أي تَرتَعِدِينَ مِنَ البَرْدِ ـ؟ قالَتْ: الحُمَّى، لا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، فَقالَ:" لا تَسُبِّي الحُمَّى؛ فإنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كما يُذْهِبُ الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ " مسلم.

هكذا تعامل النبي ﷺ، وصحبه الكرام مع الحُمى على اختلاف أنواعها، ودرجة شدتها، والتي هي ـ كما تبين من أوصافها وآثارها وعوارضها ـ أشد بكثير من آثار وعوارض كورونا .. لم يتعاملوا معها بهذا الخوف، والرعب، والذعر، والقلق، الذي يتعامل به الناس اليوم مع حمى فيروس كورونا .. كما أنهم لم يعلنوا

---

[4] صحيح سنن ابن ماجه: 3250.

[5] صحيح الترغيب والترهيب: 3403.

[6] صحيح سنن الترمذي: 1954.

[7] صحيح الترغيب والترهيب: 3402.

[8] صحيح الأدب المفرد: 381.

عن إيقاف وتعطيل الجمعة والجماعات في المساجد من أجل ما أصابهم من حمى .. رغم أن عوارض الحمى التي ظهرت عليهم، وأصابتهم، لهي أشد بكثير من حمى فيروس كورونا .. بل لبوا لأداء مناسك العمرة جماعة بعد صلح الحديبية، والحمى قد أنهكت قواهم، ولا تزال آثارها بادية عليهم!

كثير من بلاد المسلمين، قبل أن يصلها حمى كورونا .. وقبل أن ينتشر فيها .. وقبل أن تصاب رعايها بهذا المرض .. أعلنت عن حزمة كبيرة من إجراءات الحظر، والحجر، والمنع، والإغلاق .. تجاوباً مع ما يجري في أمريكا، ودول الغرب .. واتباعا لهم فيما يفعلون .. وغداً هذه الدول الغربية لو أعلنت أنها قد قضت على وباء كورونا، وبالتالي لا داعي لإجراءات الحظر، والحجر .. لفعل المسلمون في بلادهم نفس فعلهم، واتبعوهم في فك الحظر، والحجر، حتى لو كان عدد كبير من المسلمين لا يزالون مصابون بهذا الداء .. ليصدق فيهم قول النبي ﷺ:" لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَن كانَ قَبْلَكُمْ؛ شِبْرًا شِبْرًا وذِراعًا بذِراعٍ، حتَّى لو دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ، قُلْنا: يا رَسولَ اللَّهِ، اليَهُودُ والنَّصارَى؟ قالَ: فَمَنْ "البخاري. أي من غيرهم!

عبد المنعم مصطفى حليمة

" أبو بصير الطرطوسي "

2020/3/20

www.abubaseer.bizland.com